المقومات والضرورات

وتظل ضرورات دراسة المعارضة رهنا بأهميتها فى الدرس التاريخى والأدبى لمقومات العمل موضوع المعارضة ، أعنى بذلك ضرورة التحليل المتأنىّ لكل من العملَيْن على مستوى علاقاتهما الخارجية والداخلية جميعا ، وهنا يصبح التعرف على شخصية الشاعر أمراً ضروريا ومُلحا ، إذْ لايمكن للباحث اختزاله من موضوعه ، أو تجاهل تأثيره ، ذلك أنه يحدد مدخله الطبيعى إلى التجربة التى يدور حولها النص ، لتصبح نموذجا محوريا من نماذج المعارضة .

ومن هنا يصبح التعرف على حياة الشاعر أمرا هاما ومطلوبا ، وذلك من خلال ظروفه الاجتماعية وحالاته النفسية ، وطبيعة علاقاته على اختلاف دوائرها فى إطار المرحلة التى يصوغ من وحيها التجربة ، أو حتى فى سياق غيرها من المداخل ، وعندئذ تبدو دراسة ظروف العصر - بهذا القياس - من المطالب الأولى فى مثل هذا الدرس ، وكذا الأطر الاجتماعية التى تحددها بيئة الشاعر فى أوسع صورها .

ومن هنا - أيضا - تتكشف العلاقات الخارجية للنص ، ابتداءً من صلته بمبدعه ، إلى نوعية الشريحة التى اختارها لتكون موضوعا له ، ومن خلالهما معاً تتكشف الأبعاد الشعورية التي تكمن وراء التجربة إذ لا شك أن تفهُّم التجربة يظلُّ خطوة أساسية مطلوبة فى استكشاف جوانب المعارضة الشعرية .

وإلى جانب تأمُّل حياة الشاعر ، ومع تحليل ظروف عصره وملابسات إبداعه ، وكشف ذوق جمهوره ، يظل السعى مطلوبا وراء حواس الشاعر من خلال معطيات الصورة ، أو ما يعرضه فى لغة التقرير المباشرة ، إلى جانب ما يجب على النقاد - أيضا - من التزام الموضوعية حال التلقى لأى من العملين موضوع المعارضة ، إضافة إلى ضرورة تجاهل الفواصل الزمنية إلا من خلال تطور اللغة أو ظهور الفروق الفردية فى الأداء التصويرى ، أو حتى فى الصيغة الجماعية التى تتسق - غالبا - مع ايقاع حركة التطور عبر عصور الأدب المختلفة ، والتى ربما أخذت أبعادا قومية خاصة فى منطقة حماسات الشعراء .

ومن هذه الضرورات اللازمة يأتى أسلوب المعالجة ، وفيه تظل الدراسة حبيسة إطار مطلب هام لا يستغنى عنه الباحث فى هذا المجال ، إذ يظل عليه أن يتعمق عناصر العمل بين مبدع وموضوع ، ليتوقف عند كيفية الجدل والتفاعل بينهما تأثراً وتأثيراً متبادلَيْن ، إلى أن